309 - ـ فصل : الاشتغال بخدمة الخالق .

واعجبا من موجود لا يفهم معنى الوجود فإن فهم لم يعمل بمقتضى فهمه .

يعلم أن العمر قصير و هو يضيعه بالنوم و البطالة و الحديث الفارغ و طلب اللذات و إنما أيامه أيام عمل لا زمان فراغ .

و قد كلف يبذل المال بمخالفة الطبع من الشرع فبخل به إلى أن يتضايق الخناق فيقول حينئذ : فرقوا عني بعد موتي وافعلوا كذا .

فأين يقع هذا لو فعل و بعيد أن يفعل و إنما يراد بإنفاقك في صحتك مخالفة الطبع في تكلف مشاق الإخراج في زمن السلامة .

فأفرق بين الحالتين إن كان لك فهم .

فالسعيد من إنتبه لنفسه و عمل بمقتضى عقله و إغتنم زمنا نهايته الزمن و إنتهب عمرا بأقرب إنقطاعه .

ويحك ما تصنع بادخار مال لا يؤثر حسنة في صحيفة و لا مكرمة في تاريخ ؟ .

أما سمعت بإنفاق أبي بكر و بخل ثعلبة ؟ .

أما رأيت تأثير مدح حاتم و بخل الحباحب ؟ .

ويحك لو إبتلاك فيمالك لاستغثت أو في بدنك ليلة بمرض لشكوت .

فأنت تسؤفي مطلوباتك منه و لا تستوفي حقه عليك { ويل للمطففين } .

و لتعلم أن هذا القدر المفرط فيه يحل الخلود الدائم في ثواب العمل فيه .

فسبحان من من على أقوام فهموا المراد فأتعبوا الأجساد و غطى على قلوب آخرين فوجودهم كالعدم .

و كيف لا يتعب العاقل بدنه إتعاب البدن المقصود منى .

أترى ما بال الحق متجليا في إيجادك أيها العبد ! .

بلى و ا إن وجودك دليل وجوده .

و إن نعمه عليك دليل جوده .

فكما قدمك على سائر الحيوانات فقدمه في قلبك على كل المطلوبات .

وا خيبة من جهله وا فقر من أعرض منه وا ذل من إعتز بغيره وا حسرة من إشتغل بغير خدمته